المسيح أمام قيافا

«وَالَّذِينَ أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ» (متى ٢٦: ٥٧).

بقلم: ادي كلور

بعد ما أنهى حنان استجوابه ليسوع، أرسله إلى قيافا القائم بأعمال رئيس الكهنة (يوحنا ١٨: ٢٤). يحتمل أن «بَيْتِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ» (لوقا ٢٢: ٥٤) هذا كان بالقرب من قصر حنان. طلب قيافا اجتماع مجلس السنهدريم. كان بعض الكتبة والشيوخ قد اجتمعوا في بيته واستعدوا لمشاركته في استجواب يسوع (متى ٢٦: ٥٧).

صدرت إدانة أولية بحق يسوع في هذا الاجتماع الذي عقد في الصباح الباكر، ويصدر السنهدريم حكماً رسمياً في اجتماع كبير في وقت لاحق من ذلك اليوم. كان سَيُرْسَل يسوع بعد النطق بالحكم الرسمي عليه إلى بيلاطس الوالي الروماني، ويُطْلَب منه الموافقة على ذلك الحكم ويعدم يسوع. في القضايا التي تحمل عقوبة الاعدام، تطالب الحكومة الرومانية المحاكمة المدنية بأن تصدر الحكم نفسه كما أصدرته المحكمة اليهودية {أي توافق عليه} قبل تنفيذ حكم الاعدام.

لا شك أن حنان وقيافا كانا قد استخدما كل ما لديهما من سلطات تنفيذية للوصول إلى قرار اعدام يسوع. كان بغضه قد ازداد بين اليهود خلال خدمته الأرضية. ولا شك أن حنان وقيافا قد أشعلا هذا البغض وشجعا عليه منذ توبيخ يسوع لتجارتهم في الهيكل (يوحنا ٢: ١٣-٢٢). كان اليهود قد طلبوا قتل يسوع عند بركة بيت حسدا قبل سنتين من محاكماته هذه (يوحنا ٥: ١٨). كان يسوع قد سأل اليهود قبل سنة بسبب العداوة المتزايدة ضده قائلاً: «... لِمَاذَا تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي؟». وقد حاول اليهود في مناسبات أخرى قتله أو القبض عليه (يوحنا ٨: ١٩؛ ١٠: ٣١ و٣٩). لا شك أن حنان وقيافا قد اشتركا في المؤامرة عندما خرج حراس الهيكل للقبض على يسوع، ولكنهم رجعوا دون القبض عليه (يوحنا ٧: ٣٢ و٤٤).

بعد قيامة لعازر من الأموات ناشد قيافا بالتحديد مجلس السنهدريم ليعرفوا انه لا بد من قتل يسوع (يوحنا ١١: ٤٧-٥٣). تشير الدلائل إلى أن قيافا كان يعمل من أجل قتل يسوع منذ زمان.

أخيراً، وقف يسوع أمام قيصر لمحاكمته، وهذا هو المكان الذي أراد له أن يكون. لقد عقد العزم أن لا يدع يسوع يفلت من قبضته حتى وإن كان عليه أن يلفق تهمة ضده.

الكيفية التي استجاب بها يسوع لاستجواب قيافا تعطينا صورة عن الكيفية التي تعامل بها مع كل آلامه. قال بطرس انه ينبغي أن ننظر عن كثب في أفعال وسلوك يسوع حتى نعرف كيف نستجيب لآلامنا. وقال أن المسيح ترك لنا «مثالاً» بمحاكماته وصلبه، وبانه ينبغي أن نتبع «خطواته» (١ بطرس ٢: ٢١). ينصحنا كلامه هذا بان نستيجب لمحننا بالطريقة نفسها التي استجاب بها يسوع لمحنته. إذن فلنطرح السؤال: «ما نوع الروح ورباطة الجأش اللذان أظهرهما يسوع نحو هذه المحاكمة الساخرة التي عُقِدَت تحت قيافا؟».

انه شيء عجيب أن يسوع لم يرتكب خطيئة خلال تلك المحنة العسيرة. لم يستجب للذين كانوا يخطؤون له، بان يخطيء لهم بنفس الطريقة، بل وضع نفسه في يدي الله الذي يحكم بعدل. كان يسوع عالماً بان الحكم عليه قد أُصدر سابقاً. وعرف أن أعداءه قد أدانوه بدون إثبات وستكون المحاكمة العادلة أمراً مستحيلاً. ولكنه تعهد بان يدع الله يحدد النتيجة.

لم يكن ليسوع شهود ليدافعوا عنه ولا محامي ليمثله. ولكنه كابن الله كان باستطاعته أن يغلب نواياهم الشريرة بكلمة واحدة. كان باستطاعته أن يبدد ذلك الجمع غير

التقي في لحظة من الزمان، ولكنه سمح لهم بان يعملوا ما أرادوا عمله. يكون من المناسب أحياناً تقديم الدفاع، كما أظهر بولس ذلك (أعمال ٢٢؛ ٢٣؛ ٢٦)؛ ولكن لم يرى يسوع أن تلك المحاكمة كانت مناسبة لفعل ذلك.

لم يخطيء يسوع أثناء استجواب قيافا المزيف. لم يهبط إلى مستوى الذين كانوا يستجوبونه، ولم يرد على كلامهم القاسي بالمثل.

علاوة على ذلك، لم يوجد في فمه غش خلال كل هذا. لم يحاول الإجابة على هذه التهم المزيفة التي اتهمه بها هؤلاء الرجال غير العقلاء بالتمادي في حقيقة ولا بإقامة دعوى من أكذوبة، بل وقف صامتاً أمامه وجعل صمته يوبخ معاملتهم الخاطئة له وغيرتهم الموضوعة في غير محلها.

كان أول تحدي لحنان وقيافا هو إيجاد دليل لإدانته. لقد قرروا سلفاً أن يقتلوه، ولكنهم يحتاجون إلى إثبات لدعم إدانتهم له. كان عليهم أن يجدوا طريقة ليثبتوا بها حكمهم الملتوي. جعلوا مساعديهم يبحثون عن أي شيء يمكن أن يقال ضد يسوع. وإذ لم يجدوا شيئاً يستخدمونه ضده بدأوا يخترعون دلائل مصطنعة، وأتوا بشهود زور. بعد ما أدى أتباع الشرير هؤلاء القسم، بدأوا يتهمون يسوع مخلصنا. وأما يسوع فلم يجادلهم بشيء، لأنه لم يحتاج أن يفعل ذلك. لم يتفق الشهود. لقد أبطلوا شهادتهم بعدم التوافق وعدم الدقة.

قال متى البشير:

> وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودُ زُورٍ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلكِنْ أَخِيرًا تَقَدَّمَ شَاهِدَا زُورٍ وَقَالاَ: «هذَا قَالَ: إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ اللهِ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِيهِ». فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هذَانِ عَلَيْكَ؟» وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا (متى ٢٦: ٥٩-٦٣).

أساء الكهنة وأعضاء المجلس فهم ما قاله يسوع. وحرفوا الحق إذ حولوا كلامه عن سياقه وقدموه كأنه تهديد لهيكلهم، بينما كان يسوع يريد أن يعطي صورة مجازية عن القيامته من الأموات.

لم يحاول يسوع تصحيح كلام هؤلاء الشهود السخفاء. بل كان ينظر إليهم بينما هم يحاولون صنع شكوى يمكن تصديقها. ولكن أدت جهودهم إلى إرتباك وتخبط وجدل لإقامة دعوى عليه بحيث لا تبدو عادلة بأي حال من الأحوال. أُنْتُهِكَت القوانين وتم التغاضي عن حقوق المدعي عليه وسعَت المحكمة إلى إدانة إنسان بريء بأدلة مزيفة. في خلال كل هذا سلم يسوع باحترام هذه الإساءة بأيادي الأشرار إلى الله.

علاوة على ذلك، عندما شُتِمَ لم يَشتم بالمقابل. وعندما وضعوه تحت القسم، أجاب بكرامة وحق. بما يلي:

> ... فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ» (متى ٢٦: ٦٣ و٦٤).

اختار يسوع هذه اللحظة لكي يكشف للعالم عمن يكون حقاً. لم يذكر الحقيقة عن ألوهيته علانياً من قبل حتى هذه اللحظة من محاكمته أمام قيافا. عندما سأله قيافا تحت القسم أمام الله أن يقول الحق عن ألوهيته، فعل كذلك. لم يؤكد ألوهيته فحسب، بل أضاف أيضاً نبوءة اتثبت حقيقة ما قاله بمرور الزمن.

بقى أميناً لهدفه أن يسلم أموره لله حتى عندما لجأ رئيس الكهنة إلى إستخدام هذه الاتهامات المثيرة. عندما رأى رئيس الكهنة انه لم يملك إي إثبات، لفق تهمة أخرى يائساً. إذ شارك في أسوأ نوع من أنواع التجديف، اتهم يسوع ابن الله بالتجديف على أبيه! يقول النص:

> فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلاً: «قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! مَاذَا تَرَوْنَ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ» (متى ٢٦: ٦٥ و٦٦).

كيف استجاب يسوع على كل هذا؟ هل شتم متهميه لأنهم شتموه؟ وهل لعنهم لأنهم أدانوه؟ كلا، لم يفعل أي

من هذه الأشياء. وقف أمامهم كمثال البر. عندما اتهموه بأسوأ خطيئة ممكنة، لم يقل شيئاً! ضحكوا على أصدق كلام قيل على الاطلاق، الحقيقة الإلهية بانه قد تم إرسال يسوع من السماء. وبالتواضع سمح لهم يسوع بان يفعلوا به وبكلامه ما شاءوا.

لم ينطق بالتهديد بينما كان يتألم. بعد كلام قيافا العنيف عن شهادة يسوع بانه هو المسيح، بدأ الذين قبضوا عليه يستهزؤون به ويعاملونه بوحشية. نرى مرة أخرى عظمة شخصية يسوع. فقد سمح لقادة دين شريرين ووحشين وجنود متحجري القلوب بأن يضربونه من أجل إذلاله. بينما كانوا يبصقون على مخلصنا ويلكمونه، سلم نفسه لعناية الله. قال متى: «حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ قَائِلِينَ: تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟» (متى ٢٦: ٦٧). لَم يتراجع ولم ينتقم. لم يرد الكمة باللكمة ولا الإساءة بالإساءة. بل جعل الله صخره وملجأه في وسط هذه العاصفة.

❖-❖-❖-❖-❖

تألم يسوع حمل الله بصمت وبطاعة وبوقار. لقد احتمل بثقة وعظمة إذ تمم بإخلاص نبوءة إشعياء: «ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ» (إشَعياء ٥٣: ٧).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩